

رَوَائِعُ ثَرَاثِ الزَّيْدِيَّةِ

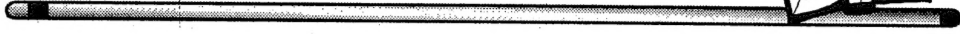
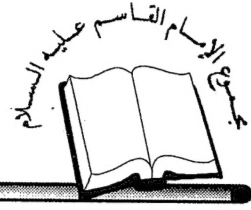
تَفْسِيرُ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ

لِلإِمَامِ نَجْمِ آلِ الرَّسُولِ الْقَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّسِّيِّ
الْحُسَيْنِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٦٩ - ٢٤٦ هـ)

مُنْتَزَعٌ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ مَجْمُوعِ كُتُبِهِ وَرِسَائِلِهِ

وَرَأْسُهُ وَتَحْقِيقُهُ

عَبْدُ الْكَرِيمِ أَحْمَدُ جَدْبَانُ
دَارُ الْحِكْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ



تفسير المعرش والكورسي



صفة العرش والكرسي وتفسيرهما

سماع علي بن محمد بن عبد الله عن الحسن بن القاسم رضي الله عنه.
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال

قال علي بن محمد: حدثني الحسن بن القاسم، عن الحسين بن القاسم رضوان الله عليه، قال: سألت أبي رحمه الله وأرضاه، عن تأويل ما ذكر الله سبحانه، من كرسيه وعرشه؟

فقال: سألت يا بني فهّمك الله فاعلم وافهم، وليكن أول ما تعلم فيما سألت عنه وتنفهم، أن يخرج في ذلك كله من علمك وفهمك، كل خاطرة خطرت بقلبك، أو وقعت في وهمك، لله فيها بمعنى من معاني خلقه كلها تشبيه أو تمثيل، أو لشيء^(١) مما صنع الله كله بالله تسوية أو تعديل، كبير ذلك كصغيره، وقليله كله^(٢) ككثيره.

فهذا يا بني هو الأصل في توحيد الله المقدم الأول، والمقول الصادق على الله وفي الله الصحيح المتقبل، الذي لا يقول بغيره في الله ولا على الله إلا كل مفتر أفاك، يلزمه في قوله بذلك على الله اسم الجهل بالله والإشراك، وفي توهم كل متوهم لذلك على الله^(٣) الخروج مما نزل الله في توحيده من كل تزليل،^(٤) نزل الله سبحانه في القرآن أوفي التوراة أوفي الزبور أوفي الإنجيل.

وتأويل ما سألت يا بني عنه ومعناه، فأبين بيان - بحمد الله - لمن فهّمه الله إياه، وإنما تلبس ذلك وأظلم على من لبس فيه على نفسه، فأسلمه الله تبارك وتعالى فيه - صاغرا - إلى حيرته ولبسه، وسبيل فهمه وعلمه منير مضى، لا يجله - بمن الله - من

(١) في (ب) و (د): أو بشيء مما خلق الله وصنع كله.

(٢) سقط من (ب): كله.

(٣) سقط من (ب): الله.

(٤) في (ب): تزيله نزله. مصحفة.

خلق الله زَكِيًّا ولا رضي.

فمن ذلك وفيه، ومن الدلائل عليه، قول الله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. فنفي سبحانه عن نفسه قليل النوم من السنة نفية للكثير، تبرئاً منه وتعالياً عن مشابهة الأشياء كلها في معنى من معانيها كبير أو صغير. والحي: فهو الذي لا يغيره أبد ولا دهر، والقيوم: فهو الدائم الذي لا يُلم به تبدل ولا تغير^(١). وكذلك قال لرسوله، ^(٢) صلى الله عليه وعلى آله ^(٣): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٢] ^(٤). ثم قال في آخر السورة: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ٤]. والصمد فهو الذي ليس من ورائه مصمود ولا معمد، ^(٥) وليس بعده في جلال ولا كبرياء بعد. والأحد: فهو الواحد الذي ليس بشيئين اثنين، جزأين كانا أو غير جزأين، ولا يُتوهم أبداً سبحانه بمعنيين متغايرين، أحدهما في الجزئية غير الآخر، فيوصفان بالتباين والتغاير.

فلا يخلو كل واحد من الجزأين من أن يكون قادراً على حاله، ^(٦) أو عاجزاً عن مبلغ قوة الجزء الآخر في قدرته ومثاله، فإن كان الجزء عاجزاً لم يكن ربا ولا قويا، وإن كان قادراً قَدْرَتَهُ كان له في الربوبية مساويا، فكانا جميعاً ربين اثنين، وإلهين متساويين، وكان في ذلك الخروج من وصف الله بالوحدانية، ومما وصف به نفسه جل

(١) في (ب): تبديل ولا تغيير.

(٦) في (ب): لرسول الله.

(٧) في جميع المخطوطات: آله وسلم. ولعل (وسلم) زيادة.

(٤) في (أ) و (ج): أكمل ﴿لم يلد ولم يولد﴾.

(٥) في (أ) و (ب) و (ج) و (د) و (هـ): معتمد.

(٦) في (ب) و (د): حياله.

جلاله من التفرد بالربوبية، فلم يكن في قولهم إنها واحدا، وعاد في وصفهم^(١) كثيرا عددا.

ومن دلائل الهدى والحق، في بُعد ربنا من مشاهة الخلق، ما يقول الله سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. وكيف يكون لمن كان أولا آخرًا ظاهرًا باطنًا من الأشياء شبيه أو نظير؟! أو يعتقد^(٢) ذلك في من كان كذلك أبدا عقل صحيح أو ضمير؟!

وأول الأشياء أبدا غير آخرها، وباطن الأشياء غير ظاهرها، فكفى بما قال سبحانه في ذلك^(٣) بيانا ودليلا، على أن لا يكون شيء من الأشياء كلها له شبيهها ولا مثيلا.

وفيما من ذلك أبانه، يقول سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [١١] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [١٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١٣] [الحشر: ٢٢-٢٤]. فدل سبحانه على نفسه بأنه هو، وأنه لا نظير له ولا كفو.

وكذلك قال من رسله كل من قد^(٤) عرفه، عندما سئل عنه فوصفه، أو دلَّ من جهله عليه ليعرفه، فقال إبراهيم عليه السلام خليله، لمن كان من قومه يجهله، ولن كان يلحد فيه ويجادله، ياقوم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. وقال صلى الله عليه لقومه، عندما منَّ الله عليه به من معرفته وعلمه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [١٤] ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ [١٥] ﴿فَانْهَهمْ عَدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [١٧] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [١٨] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [١٩] ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [٢٠]

(١) في (أ): صفتهم.

(٢) في (ب): ويعتقد.

(٣) سقط من (أ) و (ج): في ذلك.

(٤) سقط من (أ): قد.

﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢] ﴿٨٢﴾

وكذلك قال نوح من قبله، صلى الله عليه وعلى جميع رسله: يا قوم ﴿٨٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٨٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٨٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٨٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿٨٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٨٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٨٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٨٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٩٠﴾ [نوح: ١٣-٢٠]. ومثل هذا قوله صلى الله عليه في تعريفه لله من جهله فكثير، في أقله - والحمد لله - لمن أيقن بالله هداية جليلة وتبصير^(١).

وفي مثل ذلك ما يقول موسى، لفرعون إذ طغى وتعامى، إذ قال: ﴿٩١﴾ رَبُّكُمْ يَمُوسَى ﴿٩٢﴾ [طه: ٤٩]. فقال صلى الله عليه: ﴿٩١﴾ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٩٢﴾ [طه: ٥٠]. وكذلك قال عليه السلام، عندما دار بينه وبين فرعون في الله الكلام، إذ يقول فرعون: ﴿٩٣﴾ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٤﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٩٥﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٩٦﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٥]. فقال لهم إذا قالوا مقالته، وسأله عليه السلام مسألته: ﴿٩٧﴾ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٢٦]. فقال فرعون لهم، عند جواب موسى إياهم: ﴿٩٩﴾ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٠٠﴾ [الشعراء: ٢٧]. فقال موسى لهم جميعا: ﴿١٠١﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾ [الشعراء: ٢٨]. فدلهم في ذلك كله، على الله بصنعه وفعله، ليس منهم من يدل على الله سبحانه بنعت ولا بحلية، ولا يصفه جل ثناؤه بصورة ولا هيئة، ولو كان كما قال الضالون العمون، الذين لا يعقلون ولا يعلمون، على ما ذكروا من صورة آدم، لكانت الصورة من لحم ودم، ولو صفه^(٢) العارفون به وسموه، بالصورة والهيئة وحلوه.

وفي مثل ذلك من وصفه بصنعه وخلقه، وصدق القول عليه فيه وحقه، ما تقول

(١) في (ج): وتبصرة.

(٢) في (ب) و (د): ولو وصفه. مصحفة.

رسل الله صلى الله عليها، للأمم التي أرسلها الله إليها، إذ شكوا في الله وتحيروا، ولم يبصروا من الله ما بَصَرُوا: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٦]. فما دل الله جل ثناؤه على نفسه، ولا دل عليه العارفون به، بحلية ولا صورة، ولا هيئة منوعة ولا مذكورة، ولكن دل سبحانه على نفسه ودلت رسله عليه بخلقه وفطرته، وبما يُرى^(١) في ذلك من أثر جلاله وكبريائه وقدرته.

فَمَنْ لم يكتف بذلك في المعرفة بالله فلا كُفي، ومن لم يشتف ببيان الله فيه فلا شُفي، ففيما بين الله من آياته في ذلك ما يقول سبحانه للمؤمنين والذين لا يعلمون، إذ قالوا: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]. فنسأل الله أن ينفعنا ببيانه، وبما نزل من فرقانه.

ومن البيان في ذلك والنور، قول داود عليه السلام في الزبور: (سبحان الله القدوس الأعلى، ورتلوا أسماءه الحسنى العلى، مُصْطَفِي إِسْرَائِيلَ الفعّال لما يريد من الأشياء، في البحار والأرض والسماء، الذي أنشأ برحمته السحاب، وجعل البرق والرياح الهوآب، وغرق فرعون وجنوده في البحر، وأظهر ما أظهر من عجيب آياته بأرض مصر، وقتل ملوك الجبابرة ملك الموراسر وملك نيسان، وكل من كان من عتاة ملوك بني كنعان، وأعطى إسرائيل أرضهم عطية، وهبها لهم هبة هنية)^(٢).

(١) في (ب) و (د): نراه.

(٢) نص الزبور هكذا: هللويا. سبحوا اسم الرب، سبحوا يا عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب، في ديار بيت إلهنا، سبحوا الرب لأن الرب صالح، رَتَمُوا لاسمه لأن ذاك حلّو، لأن الرب قد اختار يعقوب لذاته، وإسرائيل لخاصته، لأنّي أنا قد عرفت أن الرب عظيم، وربنا فوق جميع الآلهة، كل ما شاء الرب صنع في السماوات وفي الأرض، وفي البحار وفي كل اللحج، المصعد السحاب من أقاصي الأرض، الصانع بروقا للمطر، المخرج الريح من خزائنه، الذي ضرب أبكار مصر من الناس إلى السبهايم، أرسل آيات وعجائب في وسطك يا مصر على فرعون وعلى كل عبيده، الذي ضرب أمما كثيرة وقتل ملوكا أعزاء، سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان وكل ممالك كنعان، وأعطى أرضهم ميراثا، ميراثا لإسرائيل شعبه. المزمور المائة والخامس والثلاثون. من زبور داوود. ما يسمى بالمزامير.

وما في نفي التشبيه عن الله بخلقه^(١) في الإنجيل، فكثير بحمد الله غير قليل، ولولا كراهتنا للتكثير في^(٢) الكتاب والتطويل، لذكرنا إن شاء الله بعض ما فُسر في ذلك من الأقاويل.

ثم قوله سبحانه فيما فسر المفسرون من التوراة الذي لا كقول، والذي هو أصدق الصدق^(٣) وأفضل الفضول، إذ قال لموسى صلى الله عليه، إذ ناجاه في مصيره إليه: (يا موسى إني أنا الله)،^(٤) مرتين اثنتين، زيادة من الله له في التعريف والتبيين، (إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب)،^(٥) تعريفا له من وحدانيته وإلهيته بما ليس في شيء منه شرك لمربوب.

فهل تسمع لله سبحانه أو لأحد من رسله من قول، في وصف الله تعالى بَعَرَضٍ أو طُولٍ؟! بل وصف نفسه جل ثناؤه، ووصفه رسله وأنبياءه، بالوحدانية والقدرة والجلال، لا بحسن^(٦) صورة ولا هيئة ولا حلية ولا جمال.

والصورة يا بني فلا تكون أبدا إلا من صانع مُصَوِّر، وما في الصورة من أثر التقدير والتدبير فلا يكون إلا من مُدَبِّرٍ مُقَدِّرٍ، فسبحان البارئ المصور الذي ليس بِمَبْرُوءٍ ولا مَصُورٍ، والمُقَدِّرُ المُدَبِّرُ الذي ليس بِمُقَدَّرٍ ولا مَدَبَّرٍ!! وتعالى^(٧) الله رب العالمين، وأكرم الأكرمين، عن أن يوصف بصور الآدميين، أو مشابهة^(٨) شيء من المخلوقين، وكيف يكون الخالق في شيء كخلقه، والمخلوق في شيء ما كان كخالقه؟! فهذا يا بني ما لا يصح في الألباب، على إله الآلهة ورب الأرباب.

(١) في (أ) و (ج): لخلقه.

(٢) في (ب): في هذا الكتاب.

(٣) سقط من (أ): الصدق.

(٤) في القرآن الكريم أيضا: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل/٧]. و﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص/٣٠].

(٥) وفي القرآن أيضا وصية يعقوب لابنيه إذ سألهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة/١٣١].

(٦) في (ب) و (د): لا بحسن في صورة.

(٧) سقط من (أ) و (ج): وتعالى.

(٨) في (أ) و (ج): بصورٍ أو يشابهه.

فهل تعرّف الله قط تبارك وتعالى، إلى أحد من خلقه بحلية من الحلى، كلا لن يوجد ذلك من الله أبداً، ولن يعرف الله من عرفه إلا أحداً واحداً، غير ذي نواح وأطراف، ولا مختلف في الأوصاف، بل تدل أوصافه كلها على واحد أحد، غير معروف بصورة ولا حلية ولا عدد، ليس له ند يساويه، ولا ضد يناويه، يُستدل عليه تبارك وتعالى وعلى جلاله، بدلائل لا يحصيها غيره من صنعه وفعاله، فهل يعنى ويصم عما يرى، إلا من لا يسمع بقلب ولا يرى، فنحمد الله على ما من به في ذلك من الهدى، وعلى ما بصر برحمته في ذلك من ضلال أهل الهلكة والردى.

[معنى العرش والكرسي]

وبعد فافهم نفعتي الله ونفعك، بما أسمعني من البيان وأسمعك، مسألتك عن تأويل ما ذكر الله من كرسیه وعرشه، فما تأويل ذلك عند من يؤمن بالله إلا كتأويل قبضته وبطشه، وما ذلك كله، وفرع ذلك وأصله، إلا ملكه وإقتهاره، وسلطانه وإقتهاره، الذي لا شرك لأحد معه فيه، ولا ملك ولا سلطان لسواه عليه!

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وتأويل يؤده: هو يثقله، فهو لا يثقله حفظ ما هو من السماوات والأرض مالك^(١) له.

وكذلك تأويل: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِي وَيُعِيدُ ﴿ ١٢ ﴾ [الروح: ١٢-١٣]. و ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ﴾ [الدخان: ١٦]. وليس يتوهم في كبرها، طول ولا عرض في ذرعها ولا قدرها، ولا يتوهم أن القبضه والبطش^(٢) من الله على ما يعرف من الآدميين بينان ولا كف، وكذلك لا يتوهم أن الكرسي والعرش ذو قوائم ووسط وطرف، ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾

(١) سقط من (ب): مالك.

(٢) في (د): البسط. مصحفة.

[هود:٧]. تأويل ذلك: وكان ملكه على الماء، كما كان عرشه الذي هو ملكه بعد خلقه للسماء على السماء.

وكذلك ذكر أن كرسیه قد^(١) وسع السماوات والأرض كلها، ولم يذكر أنه جعل الكرسي موضعاً لها، بل ذكر أنها كلها فيه، ولم يذكر أنه هو فيها، وكان ذلك من الدلالة على أن^(٢) الحفظ والملك هو الكرسي بعينه، لا ما يتوهم^(٣) من عمي عن تنزيل الله في ذلك وتبيينه، وإنما ذكر الله الكرسي والعرش دلالة للعباد بذكرهما، على ما ذكرنا - إن شاء الله - من أمرهما.

وإنما فهم الله جل ثناؤه عباده، وأبان لهم في كثير مما نزل الله من آياته رشاده، بما^(٤) ضرب لهم في ذلك من الأمثال، وذكر برحمته من شبه ومثال، وأمثال الأشياء ومثلها، وفروع الأشياء وأصولها، فليست بالأشياء أنفسها، ولا بأعيان ما مثل بها، ولكنها أشباه ونظائر يستدل عليها، من فكر بعون الله فيها.

وفيما ذكر الله سبحانه من ضربه للأمثال، ومافيه للمؤمنين من الهدى والاستدلال، ما يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. ولا يهتدي لذلك إلا من اتقى^(٥)، كما قال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَ بِأَمْرٍ أَوْ يَنْتَهِوا عَنْ ذَنْبٍ أَوْ يَحْتَفِظُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١-٢]. فليس يرتاب - والحمد لله - في الكتاب، أحد من أهل التقى والألباب، فالحمد لله رب العالمين كثيرا،^(٦) على ما نور لأهل التقى بكتابه من

(١) سقط من (ب) و (د): قد.

(٢) سقط من (ب): أن.

(٣) في (ج): لا يتوهم.

(٤) في (ب) و (د): آيات رشاده. وفي (أ) و (ج) و (هـ): مما ضرب.

(٥) في جميع المخطوطات: اتقاه. ولعلها مصحفة والصواب ما أثبت.

(٦) سقط من (أ) و (ج): كثيرا.

الهدى تنويرا.

وفيما ضرب سبحانه للناس من الأمثال، فيما نزل سبحانه من القرآن، ما يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]. ويقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وكذلك فقد يُجَوِّزُ الفكر في الكرسي والعرش، وما ذكره الله له من القبضة والبطش، فنفي^(١) عنه جل جلاله في قليل ذلك وكثيره، مشاهة كبير خلقه وصغيره، كما نفى عنه فيما ذكر من صفاته لنفسه، مشاهة جن الخلق وإنسه، كما قال سبحانه: ﴿حَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]، ولا يمثل في ذلك من خلقه بالمختارين المبصرين، وقيل: كبير وقدير^(٢) ولا يشبهه بكبير الأشياء في الطول والعرض ولا بالمقتدرين، وكما قال سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦، ٧٤، الحاقة: ٥٢]. وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ولا يشبهه في العظم، يعظم جثة ولا جسم، ولا يمثل في الرحمة^(٣) أرحم الراحمين، بمن كان رحيمًا من آدميين، ومتى ما^(٤) توهم ذلك متوهم واعتقده في الله، فهو - صاغرا - من المنكرين لله.

وكذلك صفات الله وأسماءه كلها الحسنى، فتعالى فيها كلها عن شبه الخلق في كل معنى.

وكذلك قبضته ويطشه، وكرسيه وعرشه، فلا يتوهم عرشه وكرسيه^(٥) ذا قوائم وأركان، ولا يتوهم قبضته ويطشه بكف ذات بنان، ومتى ما توهم^(٦) ذلك متوهم أو اعتقده في الله، فهو مشرك لاشك بالله، وبريء من توحيد الله ومعرفته، إذ أشرك غيره

(١) في (ب) و (د): فينفي.

(٢) في (أ): كبير قدير.

(٣) في (ب): رحمة.

(٤) في (ب) و (د): ومتى وهم ذلك متوهم أو اعتقده.

(٥) في (ب) و (د): كرسية وعرشه.

(٦) في (أ) و (ج): ومن توهم.

في صفته.

وتأويل الكرسي والعرش لرب العالمين، فغير تأويليهما في الآدميين، لأن تأويلهما في بني آدم، وفيما يحاط به لهم فيهما من العلم، إنما هو مقعد الملك، وآلة من آلات الملك، يُحمل للملك أو يوضع، له^(١) دعائم ثمانية أو أربع. والكرسي والعرش لله فإنما هما^(٢) ملك الله وسلطانه، وتمكن الله من الأشياء واستمكانه، وقدرة الله سبحانه ومملكه منها لما لم يكن كقدرته ومملكه لما قد كان، وذلك فما لا يصف^(٣) به - من قال صدقاً - إلا الله الرحمن، وكل من اعتقد التشبيه لله بشيء في وهمه، فقد برئ من الإيمان بالله وحكمه، وزال عنه اسم التوحيد، وكان منه أبعد بعيد، لا تحل له ذبيحة، ولا مولاة ولا مناكة.

وفي العرش وما ذكرنا من أمره، وما قلنا به فيه من التأويل عند ذكره، وأنه هو القدرة لله والملك، الذي ليس فيه لغير الله شرك، ما يقول الله لا شريك له: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. ويقول سبحانه لرسوله، صلى الله عليه وعلى آله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وتأويل - إن شاء الله - ذلك الصحيح المستقيم، إذ^(٤) هو العرش العظيم الكريم، فإنما هو كرم ملك الله وعظمه، لا طول العرش ولا عرضه ولا ضخمه، وما في عظمه لو كان كما قالوا وطوله وعرضه، ما يكون به وإن عظم واتسع أعظم ولا أوسع من سماء الله وأرضه، ولو كان ذلك، كما قالوا كذلك، لكان عظمه في الإكبار والإجلال، دون عظم السماء والأرض والجيال.

وإني لأحسب - والله أعلم - أن الهدهد حين أنبأ، بعظم عرش ملكة سبأ، ما أراد بالعرش وذكره، إلا عظم ملكها وكبر قدره، ألا تسمع قوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ

(١) في (أ) و (ج): بما له دعائم.

(٢) في (أ): هو.

(٣) في (أ): فيما لا يصف. وفي (ب) و (د): فما لا يوصف.

(٤) في (ب): أنه.

يَقِينُ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ [النمل: ٢٢-٢٣]. فذكر ملكها لهم وما أُوتيت وهو ما أعطيت من كل شيء ثم قال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا إن كان إياه أراد كما قلنا فهو الإكبار لها والتعظيم، وإلا فما عظم عرشها أو سريرها، من التعظيم لها أولاًمرها، ومن^(١) الكبر لقدرها.

وقوله سبحانه: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥، البروج: ١٥]. فتأويله: ذو الملك لا يتوهم ذلك كرسي منصوب، لقوائمه في جوانبه ثقب. ومثل ما ذكرنا في العرش من التمثيل للعباد بما يعرفون، لا على ما يعلمون من خواص أحوالهم ويوقنون، مما جل تبارك وتعالى عن مماثلتهم فيه، أو أن يقع شيء من حقائق صفاتهم به عليه، ما يقول سبحانه: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]. وذلك فمقام الحكم في يوم القيامة والبعث وموقف الجزاء، ثم من الله والقضاء، بدائم السخطة منه والارتضاء.

وفي ذلك أيضا ومثله، من موقف حكمه وفصله، ما يقول سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ [الحاقة: ١٧-١٨]. وذلك فيوم العرض للعباد على المليك، العلي الذي علا وتقدس عن مشاركة كل شريك، يمثل ذلك سبحانه لهم بما قد رأوا، وعرفوا وأبصروا، من ملوك الدنيا إذا عرضوا، فحكموا وقضوا، كيف تنصب لهم يوم ذلك عروشهم وكراسيهم، للقضاء في أهل مملكتهم ومن تحت أيديهم.

وكل ما أمكن في العرش والكرسي من التمثيل، فقد يمكن - والحمد لله - في حملة العرش مثله من التأويل، وكذلك فقد يكون ذكر الله العرش وحملة من التمثيل، في موقف الحكم والقضاء والتفصيل، على ما قد رأوا من ملوك الدنيا^(٢) وعرفوا، لا على ما قال الجاهلون بالله ووصفوا. وكما جاز ذكر العرش للقضاء والفصل، فقد يجوز مثله فيما ذكر للعرش من الحمل، ولا تقبل العقول، أن الله محمول، كما يُعرف

(١) في (ب) و (د): أو من.

(٢) في (ب) و (د): الدنيا في الدنيا.

من حمل شي، على سرير أو عرش أو كرسي!! ومن قال بذلك واعتقده^(١) فهو بالله من الجاهلين، وعن المعرفة لله من الضالين.

وكيف يُتوهم من رفع تبارك وتعالى السماوات بغير عمد، وأمسكها وأقامها في الأهوية بغير علق^(٢) ولا سند، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]. وقال تبارك وتعالى: ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [الرعد: ٢]، ثم قال جل ثناؤه ﴿تَرَوْنَهَا﴾، يعني سبحانه تعابونها وتبصرونها، غير معمودة من تحتها بعمد، ولو كانت كذلك لرأى ذلك من أهل الأرض كل أحد، فكيف يكون من حملها سبحانه محمولاً، أو يكون ذلك عليه في القول مقبولاً؟!

وما ذكر^(٣) سبحانه من العرش والكرسي، وبعده في ذكرهما من مشاهدة كل شي، إلا كما^(٤) ذكر سبحانه من إمساكه وإقامته، لما ذكر من أرضه وسمواته، لا يتوهم إمساكه لذلك بينان ولا كف قابضة، تقدس في ذلك عن كل صفة محدثة عارضة، ولئن لم يتأولوا العرش لرب العالمين، إلا على ما رأوا من عروش الآدميين، ما لهم أن يتأولوا رفع السماوات والأرض إلا على مثال ما يعرفون، من الآدميين ويتوهمون.

وكذلك يلزمهم أن يتوهموا صنع الله جل ثناؤه لما صنع، كصنع من خلق الله من الآدميين وابتدع، فيشبهون الله تعالى بالخلق، ويقولون عليه بغير الصدق، فَيَبِينُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَمْرَهُمْ، ويظهر بالله كفرهم، ولا يخفى شركهم ولا يستتر، ولا يتوارى عند من عرف الله ولا يستسر، فنستجير بالله من العمى والضلالة، ومن الحيرة عن الله والجهالة.

وما الذي ذكر الله سبحانه في التمثيل من عرشه وحمله، إلا كما ذكر الله من حبله، إذ يقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، و ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]،

(١) في (ب) و (د): أو اعتقده.

(٢) العلق: الحبال.

(٣) في (ب) و (د): ذكره.

(٤) في (أ) و (ج) و (د): لا كما. وفي (ب): شيء كما.

فهل يُتوهم ذلك حبل مسد، ^(١) أو حبلًا من سواه يحصد ^(٢).

ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فهل يتوهم أو يرى، أن ذلك عروة من العرى، التي تكون من شعر، أو ليف أو لحاء من شجر، قد أُمر ^(٣) ذلك وعقد، بما يعرف له من المرّة والعقد، فلا يتوهم ذلك - والحمد لله - ولا يراه، أحد من خلق الله رأيناه ولا علمناه.

و[ما] ذكر الله من العرش والكرسي وحُماله، إلا مثل ضربه الله من أمثاله، فرحم الله عبدا فهم عن الله وحقه، فنفي عنه شبه جميع خلقه، ولئن لزم الكرسي والعرش أن يكونا كالكراسي والأسرة المنصوبة، ليلزم مثل ذلك في تأويل رفيع الدرجات فتكون الدرجات عتبة بعد عتبة، وذلك فما لا يتوهمه ^(٤) صحيح سوي، ولا ضعيف في العلم ولا قوي. وما ما يسمع من هذا ومثله إلا أمثال مضروبة، فهي والله المستعان في قلوب الجاهلين بالله محرفة مقلوبة، فهم فيها - والحمد لله - لا يعقلون ولا يعلمون، كما قال الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي ذكر التمثيل والأمثال، ما يقول الله ذو العزة والتعال: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]. فذكر الإتيان وليس يتوهم إتيان الله إتيان محي، ولا يتوهم ما ذكر ^(٥) من البنيان [أنه] بنيان مبني، ولا يتوهم السقف الذي ذكره الله سقفا مرفوعا، ولا قواعد بنيانهم التي هي أساسه ^(٦) أساسا موضوعا، من حجر، ولاطين ولا مدر، ولكنه مثل وتمثيل

(١) المسد: الليف.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): محصد.

(٣) في (ب) و (د): في الشعر. واللحاء: قشر الشجر. وأمر: شُدَّ. يقال: أمر بغيره، إذا شده.

(٤) في (أ) و (ج): فما لا يتوهم. وفي (ب): فلا يتوهم. وفي (د): فلا يتوهمه. ولفقت النص من الجميع.

(٥) في (ب) و (د): ما ذكر الله من.

(٦) سقط من (أ) و (ج): أساسه.

صادق، مثله العزيز الصادق^(١) الخالق، الذي أصدق الأقوال أقواله، وأصح^(٢) الأمثال أمثاله. وكذلك فقد يمكن ما قلنا وفسرنا، في الكرسي والعرش على ما مثلنا وذكرنا.

ولفي التمثيل لهم بما^(٣) يعرفون من الأمثال، ما يقول في كتابه ذو الكبرياء والجلال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]. فلا يتوهم ختم بخاتم ولا طين، ولا يتأوله كذلك من يفرق بين لبس وتبيين.

ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]. ولا يتوهم أحد وإن جهل وجفا، الأكنة أغطية وغلفا.

وكذلك قوله، جل جلاله: ﴿وَأَخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، و ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢]، فهل يتوهم الجناح في ذلك كله كجناح طائر، إلا كل أحق من السامعين عم حائر. وما في هذا ومثله من الأمثال، فيكثر عن أن نذكره في مقال، فنعود بالله من العمى والحيرة، ونستمتع بما وهبه من الهدى والبصيرة، فإننا في دهر عم تمكن فيه الجهلة العمون، فقالوا على الله تبارك وتعالى بما لا يعلمون، وخرجوا بمقاتلهم^(٤) في الله من حقيقة توحيد الله وهم لا يشعرون.

فإن قال قائل: فما وجه التسمية، في الحمل للعرش لعدة ﴿ثَمْنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وما تأويل ﴿فَوْقَهُمْ﴾؟

قيل: أما فوقهم، فهو على^(٥) الحمال ورؤوسهم، وأما ثمانية فإني أحسب - والله أعلم - أن أكرم ما كان يعرف الأولون عندهم من العروش^(٦) والكراسي، التي كانت تتخذ فيما خلا لملوك الأمم في الزمان الماضي، ما كان من العروش ذا ثماني قوائم في

(١) سقط من (أ) و (ج): الصادق.

(٢) في (ب) و (د): وأصلح.

(٣) في (د): ما. وسقط من (ب).

(٤) في (ب) و (د): بمقاتلهم.

(٥) في (ب) و (د): أعلا.

(٦) في (ب) و (د): أن كان أكرم ما كان يعرف الأوان عندهم من العرش.

كل ركن منه قائمتان، فتلك قوائم حينئذ ثمان، قائمتان في كل طرف من الطرفين، وقائمتان في كل جانب من الجانبين.

ولما كان - عند الأولين حمل ثمانية حُمَال، عرش^(١) كل ملك ذي قدرة في المملكة والجلال، أكبر في التعظيم والإجلال، عند الحُمَال وعند غيرهم من أهل المملكة، ومن وصل إليه ذلك من الجبارة المتملكة، أن يكون عرش الملك محمولا على الرؤوس، وكان ذلك أجل للملك^(٢) في النفوس - كانت كل قائمة من قوائم عرش الملك إذا حمل العرش محمولة على رأس حامل واحد، فتلك^(٣) - يا بني هداي الله وإياك - حينئذ ثمانية سواء في العدد، فهذا والله أعلم عندي^(٤) وجه التسمية، لما سُمي في الحمل للعرش من الثمانية.

وإنما ضرب الله للعباد الأمثال بما يعرفون من الأشياء، على قدر ما قد رأوا منها في الدنيا، التي لم يروا قط شيئا إلا فيها، ففهمهم^(٥) الأمثال بها وعليها، وبالله - لا شريك له - نستعين على ما أبان وبيّن من قصص آياته وأحاديثها، وقدم دلائله وحديثها.

ومن ذلك يا بني الأمثال التي مثلها، وفصلها تبارك وتعالى في كتابه ونزلها، ما يقول سبحانه: ﴿وَأَلْتَفَّتْ السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾ [النفاث: ٢٩]. لا يتوهم الساق ساق رجل، أحد ممن له أدنى عقل.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [الدثر: ٨]، ولا يتوهم أحد ذلك كالناقور المنقور.

وكذلك قوله جل ذكره: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩، يس: ٥١، الزمر: ٦٨، ق: ٢٠].

(١) في (ب): عرش ملك. وفي (ج): عرش كل مملكة.

(٢) في (ب) و (د): للملوك.

(٣) في (ب): فبذلك. مصحفة.

(٤) سقط من (ج) و (د): عندي.

(٥) في (أ): نفهمهم. وفي (ب): فهمهم.

ولا يتوهم بوقا ولا قرنا من القرون، إلا كل مختل^(١) من الناس مجنون.
ومثل ذلك قوله: ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، ولا يتوهمه^(٢) جرفا من الجرفة،
إلا من لم يهبه الله في ذلك شيئا من الهدى والمعرفة، وإنما الجرف من الأرض المعروف،
جانب الوادي أو ما كان من الأرض له حروف.

وفي مثل ذلك من الأمثال، ما تقوله قريش للرسول عليه السلام: ﴿قَالُوا قُلُوبُنَا
فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:
٥]. ولا يتوهم الأكنة أغطية ولا لبسا، ولا يتوهم الوقر صمما ولا ما ذكره الله من بُكم
الكفار خرسا، إذ يقول سبحانه: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:
١٨]. ولا الحجاب سترا مضروبا، ولا بنيانا من الأبنية منصوبا.

وفيما ضرب الله من الأمثال ما يقول سبحانه: ﴿أَمَرَ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:
٢٤]. ولا يتوهم ذلك أقفالا من حديد، إلا كل أخرق^(٣) أحمق بليد.

وما في هذا من الأمثال والبيان، فيما جعل الله للعرب من اللسان، فيكثر عن
الاستقصاء، والتعديد له والاحصاء، لا يلتبس^(٤) - والله محمود - على من يعقل وإن
لبس وغطى، ولا يخفى مخرجه وبيانه إلا على^(٥) من ضل وعمي، فنعوذ بالله من العمى
والضلال، عما ضرب الله - برحمته - لنا من الأمثال. فيكم من جاهل حائر قد عمي!!
يرى أنه في^(٦) جهله قد هدي، أو سامري يقول لامساس، لا يعرف البيان ولا الالتباس،
كالبهائم الغافلة المذهمة، التي لا تفرق بين هادية من الأمور ولا مضلة، فهم كما قال الله
نسبحانه لقوم يعقلون: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾
[الأعراف: ١٧٩].

(١) في (أ) و (ب) و (د): مختبل.

(٢) في (ب): يتوهم.

(٣) الأخرق: الجاهل.

(٤) في (ب): إلا تلبس.

(٥) سقط من (ب): على.

(٦) في (ج): من جهله.

قلت: فما تأويل: ﴿حَافِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]؟!

فقال: ما حَافُونَ في التأويل إلا كالكرسي والعرش وحملته في التمثيل، والملائكة - يا بني - فحَافُونَ يومئذ بمقام الحكم والتفصيل، كما قد عرف أهل الدنيا، أن الملك منهم إذا حكم وقضى، أحف بعرشه الذي هو الكرسي يوم يحكم ويقضي، من يختار من أهل مملكته ويرتضي، فمثل سبحانه لهم مقام حكمه وفصله، بما قد^(١) عرفوا في الدنيا من مثله، وليس يتوهم من يعقل العرش والكرسي سريرا محمولا، ولا منبرا منصوبا معمولا.

ومثل ذلك مما يعرف الناس من الأمثال في أمورهم، قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، فذكر سبحانه ما ذكر في هذا الذكر من الأوزار والحمل، ولا يتوهم ذلك من له أدنى عقل، حملا كحمل الأحمال، على ما يعرف من ظهور الجمال، ولا كعبء محمول، ولا كور^(٢) منقول، وإنما هو مثل من الأمثال معقول، تعرفه الألباب والعقول، وقد علم الناس أن كل عبء أو وزر، إنما يحمل على عنق أو ظهر.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّا آَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ولا يتوهم السرادق^(٣) كما يعرف في الدنيا من السرادقات، ذوات الأوتاد والأطناب والرواقات،^(٤) إلا جاهل عمي، أحمق بهمي.

وكذلك لا يتوهم قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، فلا يتوهم أحد له لُبُّ أن ما ذكر الله من ذلك منهم وفيهم، على أن لله يدا ذات بنان مصافحة للمبايع رسوله،^(٥) صلى الله عليه وآله.

(١) سقط من (أ) و (ج): قد.

(٢) الكور: الرَّحْلُ.

(٣) السرادق: ما أحاط بالبناء.

(٤) الرواق: فسطاط أو سقف في مقدم البيت.

(٥) في (ب) و (د): لمبايع رسول الله.

ولا يُتوهم قوله سبحانه: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠، المنافقون: ٤]. على ما يعرف من المقاتلة، التي تكون بين المقتلين^(١) عند المواجهة والمصاولة.

ولا يتوهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]. ولا قوله: ﴿فَاسْتَبَشِرُوا ببيعكم الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ [التوبة: ١١١]، ولا ماجرى في البيع والشراء^(٢) من هذا ومثله، على ما يعرف من المتبايعين، والمشتريين والبائعين، في^(٣) معاني المبايعة، والشراء والمساومة، كيف^(٤) يكون ذلك وما اشترى سبحانه منهم من أنفسهم وأموالهم، فهو له تبارك وتعالى لا لهم، فهل يعرف أن مشتريا يشتري ما هو له؟! إلا الله - بكرمه - جل جلاله!!

وكذلك لا يتوهم قوله سبحانه لنوح صلى الله عليه: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]. ولا قوله: ﴿خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِمْمَا عَمِلْتَ أَيْدِيَنَا﴾ [يس: ٧١]. على أن الله تبارك وتعالى أعيناً. ولا أيدياً كثيرة، ولا كما تعرف الأعين كبيرة ولا صغيرة، وأيدي ذوي^(٥) الأيدي كلهم من الآدميين طويلة أو قصيرة، ولا يعرف الناس الأعين والأيدي إلا ما كان كبيراً، ولا أن شيئاً من الأيدي يكون أبداً^(٦) إلا طويلاً أو قصيراً، ولا يعرف الناس أجمعون، فيما رأوا ولا فيما يصفون، أن شيئاً من ذلك، يكون أبداً إلا كذلك، ولكنها أمثال مثلها تبارك وتعالى لعباده بما يعرفون، ليس في شيء منها تشبيه لله بما يقول الجهلة بالله ويصفون.

والإحفاف يا بني فهو الإحاطة، والإحاطة فهي الإحداق^(٧) والإدارة، وفي إحاطة

(١) في (ب) و (د): المقتاتين.

(٢) في (ب) و (د): في الشراء والبيع.

(٣) في (د): من. وسقط من (ب).

(٤) في (ب) و (د): فكيف.

(٥) في (ب) و (د): دون. مصحفة.

(٦) سقط من (ب): يكون أبداً.

(٧) الإحداق: الإستدارة.

الله بالأشياء كلها، من أواخر الأشياء وأوائلها، ما يقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّخِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]. ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُّخِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]. والمُخِيط من الأشياء بما يحيط به، فهو المحفُّ المحدق بجميعه، المدير بكل ناحية من نواحيه، من جوانبه كلها ومن خلفه ومن بين يديه، ولا يتوهم إحاطة الله - تعالى ذكره - بالأشياء كذلك، والعرش والكرسي وحمله والإحفاف به فمثل ذلك، ولا يتوهم^(١) كما يعاين ويرى، من أمور أهل هذه الدنيا، وإنما إحاطة الله بالأشياء قدرته عليها،^(٢) وسلطانه جل ثناؤه فيها، لا يُتوهم ذلك من الله العزيز الخلاق، كما تُعرف به الأشياء من الإحفاف والإحداق، الذي يكون من الأشياء، ويرى من أهل هذه الدنيا، تقدس الله وتعالى، عن^(٣) أن يكون شيء له مثالا.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. فلا يتوهم في ذلك كلامه، من قرّر في قلبه توحيده وإعظامه، ككلام^(٤) الإنسان، بشفتين ولسان، ولا يتوهم - تجليه للجبل كتجلي ما نرى، من تجلي أهل هذه الدنيا، إلا من لم يكن به تباركت أسماؤه وتعالى عارفا، ولا له بما وصف به نفسه من الوجدانية واصفا، ولا يتوهم مجيئه غائب، ولا كمجيء ماش ولا راكب - إلا من لم يكن مؤمنا، ولا بوحدانيته ولا بربوبيته موقنا.

وكذلك فينبغي لمن علم أو جهل، أن يتوهم الكرسي والعرش والإحفاف والحمل، على خلاف ما يعرف من الأشياء كلها، لفرق ما بين الأشياء وجاعلها، في كل صفة ومعنى من معانيها، وكلما يعرفه عارف فيها. وبذلك - والله محمود - بأن توحيدَهُ، ووجب على العباد تمجيدَهُ، ومن التبس عليه ذلك التبس عليه التوحيد، ولم

(١) في (ب) و (د): لا يتوهم.

(٢) سقط من (أ) و (ج): عليها.

(٣) في (أ) و (ج): من.

(٤) في (أ) و (ج): كلام.

يصح منه لله جل جلاله^(١) تمجيد، وكان بالله سبحانه جاهلا، وفي ادعائه لتوحيد الله مبطلا.

ومما ضرب الله سبحانه في كتابه من الأمثال، قوله سبحانه: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولا يعرف أحد الحفرة، إلا محفورة منقورة، وقد جاز في ذلك ما نزل الله سبحانه من المثل، وقد يجوز مثل ذلك في الكرسي والعرش والإحفاف والحمل، لا يأبي ذلك - إن شاء الله - ولا يجمله، من يعرف لسان العرب ولا من يعقله، وقد تُدعا من الحفرة شفا، وما كان منها ولها حرفا، وعليها من فمها^(٢) مشرفا، فهل كان من المؤمنين الأتقياء البررة؟! أحد على فم ما ذكرنا من هذه الحفرة!!!

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ [الكهف: ١٤]. ولا يتوهم - والحمد لله شيئا^(٣) من ذلك كله عقدا ولأربطا، مربوطة ولا معقودة، مقصرة ولا ممدودة، ولا يتوهم منها رباطا واحدا، - إلا من لم يهبه الله في ذلك هداية ولا رشدا، وما من هذا في القرآن، وفيما للعرب من اللسان، فيكثر عن أن نذكره كله، والحمد لله لا شريك له، ولولا كراهتنا للتكثير^(٤) والتطويل، لذكرنا بعض ما قالت العرب في ذلك من الأقاويل، وسنذكر إن شاء الله بعض ما نزل الله سبحانه في ذلك تنزيلا، وبعض ما قالت العرب في الجاهلية والإسلام تمثيلا.

فمن أمثال الله سبحانه في ذلك البينة النيرة، وأقواله جل ثناؤه الموقية فيه للعلم والبصيرة، قوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣، الحديد: ٩]. وليس يتوهم الظلمات ليلا أسود ولا مثله، إلا من لا عقل له، ولا يتوهم ما ذكر الله من النور شمسا ولا قمرا، إلا من لم يجعل الله له لبا ولا فkra.

(١) في (ب) و (د): ذكره.

(٢) في (ب) و (د): فيها.

(٣) سقط من (أ): شيئا.

(٤) في (ج): للكثرة.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. ولا يتوهم الروح كأرواح البشر، إلا من لم يعمر الله قلبه بضياء ولا بصر.

ومما ضرب الله من الأمثال، وما يفهم بها وفيها من المقال، قوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. فدعا تبارك وتعالى ذلك كله حرثا وسمّاه، ولم يرد بذلك سبحانه الحرث الذي نعرفه نحن ونراه، من حرث الأرض الذي لا يكون حرثا عند من لا يعقل سواه، وقد عرفنا بمن الله ما أراد بذلك^(١) وعناه.

وكذلك الكرسي والعرش والحمل فقد علمنا، أنه ليس يشبهه بما يفنى، وأن الله في ذلك كله الأسماء الحسنى، والمباينة للخلق من المشابهة له في كل معنى.

ومن الأمثال أيضا التي لا تخفى، إلا على مَنْ جَهَلَ من الناس وجفا، قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]. وإنما معنى الميزان: معنى القضاء^(٢) والفصل، وما حكم به بين عباده من العدل.

ومثل ذلك يقول أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. ولا يتوهم الموازين ذات كفف، ولا الوزن^(٣) وزنا بالأيدي والأكف، إلا كل بائر، عم جائر، وكلما ذكر الله من ذلك^(٤) فبين والحمد لله معروف، لا يعمى عنه ولا يعتسف العلم فيه إلا عسوف^(٥).

ومن الأمثال التي لم تنزل تمثلها العرب حديثا وقديما، لا يجهل ما تريد بها إلا مَنْ كان من معرفة لسانها عديما، قول زهير بن أبي سلمى، في الجاهلية الجهلاء:

(١) في (أ): من ذلك.

(٢) سقط من (أ) و (ج): وإنما معنى الميزان. وفي (ب) و (د): معنى للقضاء.

(٣) في (ب): والوزن.

(٤) في (أ) و (ج): ذكرنا الله من هذا من ذلك. مصحفة.

(٥) في (ج): ولا يعسف. والعسوف: المائل عن العدل.

..... ما عضي الدهر إلا زاذني كرم^(١)

ولا يتوهم العض إلا لما كان فما.

وقالت الخنساء:

تعرفني الدهر نمشا وحزا وأوجعني الدهر قرعا وغمزا^(٢)

ولم ترد خنساء أنه ينهش بفم ولا ناب، ولا يتوهم ذلك أحد من الحمقاء فضلا عن ذوي الألباب، ولا يتوهم الحز ولا الغمز بكف ذات أصابع، ولا القرع بقرع من مقارع.

وقالت هند بنت عتبة^(٣) ترثي أباه:

وكان لنا جبلا راسيا طويل المزد كثير العشب^(٤)

وقال بعض الشعراء بعد الإسلام:

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيان
جبل تلوذ به نزار كلها صعب الذرى متمنع الأركان^(٥)

وقد علم أنه ليس أحد من الرجال، بجبل مما يعرف من الجبال، ولما جعلوه جبلا وصفوه بما يمكن من صفة الجبل في العشب والمرعى، وتمنع الأركان وصعوبة الذرى، وجاز ذلك كله عندهم في المثل، وكذلك فقد يمكن مثل ذلك في العرش وما ذكر من الحملة له والحمل.

وفي ضرب الأمثال، وما يجوز منها في المقال، ما يقول امرؤ القيس بن حجر:

أميمة إن الدهر في وثباته أصاب جيادا نابه ومخالبه^(٦)

(١) لم أقف عليه في ديوانه.

(٢) هذا البيت مطلع قصيدة للخنساء. انظر ديوانها.

(٣) في (ب) و (د): وقد قالت.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أقف عليهما ولا على قاتلهما.

وليس أحد عقل أو لم يعقل من الناس، يتوهم أن الدهر ذو مخالب ولا أنياب ولا أضراس.

وقال ابن ميادة:

فإن يك ظني صادقاً وهو صادقى بعس يكن بالمشرفي عتابها
ويحتلبوها أم سقبين لاقحاً عنيفا بأيدي الحالين احتلابها^(١)
يريد بقوله الحرب، وقد علم أن كل حرب ليست تلحق بسقبين ولا سقب،
ولا بذات در ولا حلب. والسقب فهو ولدها إذا كان صغيراً، والحلب فهو لبنها قليلاً
كان أو كثيراً، وقد علم أن هذا كله لا يتوهم فيها ولا عليها، وقد جاز أن ينسب كما
ترى في الأمثال إليها.

وكذلك قال النميري:

وحرب قد حلبناها صراها وحرب قد حلبناها علالاً
إذا لبست عوان الحرب جلاً كشفنا عن مشاعرنا الجللاً^(٢)
والمشاعر: هي القوائم. والصرا: هو جمع اللبن في الضرع حينين، والعلال: فهو
حلب^(٣) اللبن في كل حين.

وقد قال زهير في الحرب:

فتعرككم عرك الرجا بثفالها وتلقح كشافاً ثم تحمل فتتم
فتنتج لكم غلمان أشأم كله كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم^(٤)

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (أ): حلاب.

(٥) البيتان من معلقة زهير إحدى المعلقات السبع.

وقد علم أن الحرب لا تلقح ولا تتأم، ^(١) ولا تنتج ولا ترضع ولا تفظم، وقد جاز ما قال ^(٢) كله في الأمثال، وكان القول به عند العرب من أصح المقال. وفي مثل ذلك من المثل، ما يقول:

وهم حملوا المئين فلم تؤدهم ^(٣)

ولا يُعرف الحمل، المحمول ^(٤) إلا كما يحمل الحاملون.

وقال زهير أيضا:

وما إن بيتهم إن عد بيت فطال السمك واتسع البناء

فأما أسه فعلا قديما على الأحساب. إذ رفع النماء ^(٥)

ولم يرد بيتهم بيتا من مدر ولا شعر، ولا بأسه أسا من صخر ولا حجر.

وقال ابن ميادة:

لنا قبة في المجد خضراء ضخمة تبذ القباب ذات موج وساحل

لنا راية فوق السماء كأنها زبيبة وكر رُوِّت فوق حامل ^(٦)

وليس يتوهم ما ذكر من القبة قبة ^(٧) ذوات عوارض مشبكة، ^(٨) ولا أنها قبة مصبوغة بخضرة ولا ملككة ^(٩). فيا ويل من شبه الله جل ثناؤه، وتباركت بقدسه ^(١٠)

(١) في (ب) و (د): تتثم.

(٢) في (أ) و (ج): ما كان كله.

(٣) في (أ): الميان فلم يأدهم جمالاتها. وفي (ج): فلم يأدهم حمالتها. وفي (د): حملوا المئين فلم تؤدهم حمالتها.

(٤) في (ب) و (د): المحمول.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) في (ب) و (د): فيه. مصحفة.

(٨) في (ب) و (د): مسبلة. مصحفة.

(٩) في (ب) و (د): بملككة.

أسماءه، في ذاته ومعرفته، أو في شيء من صفته، من كرسي أو عرش، أو أخذ^(١) أو بطش، بخلقه المفتطر المجعول، من محمول أو غير محمول، وجل الله سبحانه عن أن يقع عليه بذلك قول، أو تعتقد مشابته في شيء من ذلك كله العقول.

وقد قال أيضا ابن ميادة:

هم الهامة العلياء والذروة التي تقصر عنها سطوة المتطاول^(٢)

وقد علم أن هذا مثل لا يجهله إلا كل عمي جاهل.

وسألت: أبي رحمة الله عليه عن تأويل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ١]. و ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. و ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ؟

فقال: تأويل ذلك كله مجيء آيات الله وحكمه، وإتيان أمر الله من رحمته أو

نقمه^(٤).

ومثل ذلك في المجيء قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ [الأعراف: ٥٢]. وفي الإتيان قوله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]. ولا يتوهم مجيء الله وإتيانه،^(٥) جل جلاله وتعالى شأنه، مجيئا من مكان إلى مكان، ولا إتيان رؤية ولا عيان، ومن قال ذلك أو ظنه فثبته في نفسه، خرج بذلك صاغرا من توحيد ربه، والحمد لله رب العالمين كثيرا، وصلى الله على محمد وأهله وسلم تسليما.

وسألت: عن تأويل قول الله جل جلاله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤]. ما وجه

(١) في (ب) و (د): بالقدس.

(٢) سقط من (أ): أخذ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ب) و (د): في رحمته. وفي جميع المخطوطات: أو نقمته. وما أثبت اجتهاد لأنه أوفق لكلام

الإمام، أو أن تكون العبارة هكذا: آيات الله وحكمته، وإتيان أمر الله من رحمته ونقمته.

(٥) في (ب): وآياته. مصحفة.

استوى؟ وما معناه^(١)؟

فقال: تأويله: ملكه للأشياء وارتفاعه عليها واعتلاه،^(٢) كما يقول القائل: استوى فلان على ملك فلان فاستوى،^(٣) يريد ملك ما كان يملك فلان كله سواء.

وكذلك يقول إذا ملك ملكه قعد على عرش فلان وجلس، وليس يريد^(٤) أن عرشه مقعد له ولا مجلس، وقد يكون العرش لكل شيء سقفه وأعلاه، كما جعل الله أعلا ما خلق من السماوات منتهاه، فأى هذا كله قال به^(٥) في مثل استوى على العرش قائل، لم يخط في تأويله به قائل ولا متأول.

فأما ما يذهب إليه الجاهل، من أن العرش لله مقعد وحامل، تحيط به أقطاره، وتحويه أقداره،^(٦) فلا يجوز في الأبواب، تأويله على رب الأرباب، ومن تأول ذلك في الله، فهو من الجاهلين بالله، فنعوذ بالله من الجهل به وبجلاله، ومن القول بذلك فيه وأمثاله، وحسبنا الله لا إله إلا هو عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم.

وإذا كان العرش كما قال الله مربوباً وكان الله له ربا مبتدعاً، لم يخل من أن يكون لله خلقاً وصنعاً، وإذا كان ذلك كذلك، وعلى ما يقول الجهلة في ذلك، كان الله قبله، وكان الله إذا لم يكن العرش قديماً ولا عرش له، فدخل عليهم في ذلك ما أخزاهم، وبيّن جهلهم فيه وعماهم، وأظهر كذبهم فيه وافتراهم، وقلة رشدهم فيه وهداهم. والحمد لله رب العالمين على ما بيّن من عناية العمين، وتولى من هداية المهتدين.

وفي مثل ذلك من الأمثال، وما يراد به غيره من المقال، ما يقول الأول:

(١) في (ب) و (د): ومعناه.

(٢) في المخطوطات: واعتلاؤه. ولعلها كما أثبت، لتوافق السجعة التي قبلها في قوله: (وما معناه).

(٣) في (أ) و (ج): واستوى.

(٤) في (ب): تريد أن عرشه مقعد له ومجلس.

(٥) في (أ) و (ب) و (ج) و (د): قال به ثم استوى.

(٦) في (ب) و (د): وتحتويه اقتداره.

وإننا لتستحلي المنايا نفوسنا وتترك أخرى مُرّة ما ^(١)
وقد يعلم ^(٢) أن المنايا لا تستحلي ولا تُستمر، وأن النفوس لا تحلو في ذوق ولا
تُمر.

وقوله:

وشَيَّب رأسي قبل حين مشيه رعود المنايا فوقه وبروقها ^(٤)
وقد يعلم أن المنايا لا ترعد ولا تبرق، ولا يتوهم ذلك إلا كل أخرق وأحمق، وأن
الرعود والبروق إنما تكون بالسحاب، إلا أن مقاله في ذلك مثل يجوز في التبيين
والإعراب.

وكذلك قوله:

لنا نبعة كانت تقينا فروعها فقد ذهبت إلا قليلا عروقتها ^(٥)
والنبعة شجرة صلبة يمانية، يعمل من قضبانها هذه القسي العربية، وقد علم كل
صحيح العقل ذي سمع، أنه لم يُرد بقوله هذا نبعة من شجر النبع.
ومثل ذلك قول الخطيئة في آل لُأي من طيء وهو يمدحهم:

هل لي ذنب بأن أعيت معاولكم من آل لأي صفاة أصلها راسي ^(٦)
ولا يتوهم أحد أنها صفاة من الصفي، إلا كل جلف من الناس جافي، ولا
يتوهم ^(٧) معاولهم من حديد، إلا كل أحمق من الخلق بليد، وقد علم من نور الله قلبه،

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ب) و (د): لا تذوقها.

(٣) في (أ): علم.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ورد هذا البيت في ديوان الخطيئة، بلفظ: ما كان ذني. من قصيدة مكونة من تسعة عشر بيتا، انظر

ديوانه.

(٧) في (ب) و (د): فلا.

وعرف الله ربه، أن العرش والكرسي ليسا مما ذهب إليه المشبهون لله بما صنع، وبعض ما خلق من خلقه وابتدع، سبحانه وتعالى عن ذلك، وعن أن يكون كذلك، وهل يمكن في وهم أو حقيقة حق، أن يكون الخالق أبدا كشيء من الخلق؟! أو لم يسمع من توهم ذلك أو ظنه، قاتله الله ما أضل وهمه وظنه، قول الله العليم الخبير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. والكفو فهو المثل والنظير، فتعالى من لا نظير له ولا مثل، ^(١) ولا كفو له ولا عدل، الذي كل موجود سواه فخلقه وصنعه، والله فخالق ذلك كله ومبتدعه، كبيره في صنع الله أكصغيره، وأوله في أنه صنع الله كأخيره، لا ينكر ذلك ولا يجمله، إلا من جهل الله جل جلاله.

وقد قال العامة والجاهلون، الذين لا يفهمون ولا يعقلون: إن الله خلق آدم على صورة نفسه ^(٢)، وإنه يضحك حتى تبدو نواجذه ^(٣). ونواجد الإنسان أنيابه التي جنب ^(٤) أضراسه، فشبهوه في ذلك وغيره - تعالى قدسُه - بالناس، وزعموا أن علمه وإدراكه لما علم وأدرك إنما هو بالحواس، فقالوا: إن علمه ودركه لما يرى ويبصر إنما هو بالبصر، وإن سمعه لما يسمع كما يُعقل من سمع البشر، ومن قال بذلك في الله، فقد

(١) في (أ) و (ب) و (د): من لا مثل له ولا نظير. وفي (ج): لا مثل ولا نظير. وما أثبت اجتهدا مني لأنه أوفق لكلام الإمام.

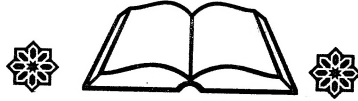
(٢) أخرج حديث: إن الله خلق آدم على صورته. البخاري (فتح ٣/١١)، ومسلم ٢٠١٧/٤ (١١٥)، وأحمد في مسنده ٤٣٤/٢، والبخاري في الأدب المفرد/٧٣، وابن أبي عاصم في السنة/٢٢٨ (٥١٦) و (٥٢١)، والبيهقي في الأسماء والصفات/٢٩١، وذكره ابن حجر في فتح الباري ١٨٣/٥.

(٣) حديث: إن الله ضحك حتى بدت نواجذه. تعالى الله سبحانه عن ذلك، أخرجه أبو عوانة في المسند ١/١٣٩. بل روى أبو عوانة أن الله ضحك حتى بدت لهواته وأضراسه. المسند ١/١٣٩، وابن منده في الإيمان/٨٠٤.

وروا: لن نعدم من رب يضحك خيرا. أخرجه ابن ماجه ١/٦٤ (١٨١)، والطبراني في الكبير ١٩/٢٠٧ ٢٠٨، وأحمد في المسند ١١/٤. ولفظ الحديث: ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره. قلت: يا رسول الله أويضحك الرب؟! قال: نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا!!!

(٤) في (أ) و (ج): التي إلى جنب.

برئ من المعرفة بالله، فنحمد الله على ما هدانا له من معرفته، وأبان بالبرهان النير من فرق ما بين صفات الخلق وصفته، ونستعين بالله في ذلك على واجب شكره، ونعوذ به فيه من الضلال عن أمره^(١). والحمد لله.



(١) في (ب) و (د): عنه أمره، وصلى الله على محمد النبي وأهله وسلم تسليماً. تم الكتاب، بعون الله الملك الغلاب. ويليهِ هذان البيتان. والحمد لله وحده، وصلواته على رسوله، سيدنا محمد وآله.